مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (1)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (1) 2017

مشكلة الطبيعة عند هيغل

الدكتور إبراهيم رزوق*
علاء ناصر**

(تاريخ الإيداع 27 / 9 / 2016. قبل للنشر في 22 / 1 / 2017)

□ ملخّص □

يسلط البحث الضوء على مشكلة لعلها الأهم بين مجموع المشكلات التي نجدها في تاريخ الفلسفة ألا و هي مشكلة الطبيعة. يحاول بحثنا سبر معنى الطبيعة من بواكيره الأولى حتى هيغل، كما سنحاول، في هذا البحث تناول مشكلة الطبيعة من الجانبين المنهجي و المعرفي، للوقوف على النقاط الأساسية لمشكلة الطبيعة عند فلاسفة القرن السابع عشر، لمحاولة ضبط مشكلة الطبيعة في سياقها التاريخي . كما سنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على العلاقة بين الطبيعة و المشكلات الأخرى في فلسفة هيغل كالعلاقة، مثلاً بين الطبيعة و المنطق ، الطبيعة والفكرة المطلقة. هل استطاع هيغل أن يحل مشكلة الطبيعة و علاقتها بجوانب فلسفته المختلفة؟ أم أنه عل هذه المشكلة كما فعل ذلك من قبله كانط ، كما يوجد في بحثنا العديد من المشكلات الأخرى التي ناقشها هيغل مع مشكلة الطبيعة.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة ـ العقل ـ الجدل ـ الكلي ـ الجزئي ـ الوجود ـ الماهية ـ الروح ـ الفكر ـ المنطق .

* أستاذ – قسم الفلسفة– كلية الآداب –جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.
**طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم الفلسفة– كلية الآداب – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (1)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (1) 2017

Nature of the problem of hegel

Dr. Ibrahim Razok*
Alaa Naser**

(Received 27 / 9 / 2016. Accepted 22 / 1 / 2017)

□ ABSTRACT □

Find sheds light on the problem perhaps more importantly, the total problems that we find in the history of philosophy , and is not a problem of nature

Our research is trying to explore the meaning of the nature of the Beginnings, As we will try to, In this research dealt with the nature of the problem of the two sides Systematic and cognitive To find out the key points of the nature of the problem when the philosophers of the seventeenth century To try to adjust the nature of the problem in its historical context As we will try in this research shed light on the relationship between nature and other problems In the philosophy of Hegel, such as the relationship , for example, between nature and logic, nature and absolute idea. Is Hegel was able to solve the problem of nature and its relationship with the various aspects of his philosophy؟ Or is it Al this problem and do so by him Kant There is also in our many other problems discussed by Hegel with nature problem.

Keywords: Nature _Mind _Controversy _Overall _Partial _Presence Essence _Spirit _Thought_Logic.

***Professor, Contemporary Philosophical Doctrines, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**
****Postgraduate Student, Contemporary Philosophical Doctrines, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

يعدُّ هيغل (1770- 1831) من أشهر ممثلي فلسفة التاريخ في العصر الحديث و من أكثر الفلاسفة الذين درسو و ناقشو مشكلات فلسفية في ضوء التطور التاريخي لهذه المشكلات.

يفصح مذهب هيغل الفلسفي بوصفه دراسة لمشكلة الروح و تطورها من الفن (الدين الطبيعي) عند اليونانيين إلى جمال الروح و إطلاقها إلى مرحلة الدين المثالي في الفلسفة الألمانية. يعالج هيغل مشكلة الطبيعة، بوصفها مشكلة جزئية ليس لها من الأهمية مكانة في فلسفته، كما لباقي المشكلات الأخرى كفلسفة الروح، والفكرة مثلاً. لذلك حاولنا الذهاب في هذا البحث للوقوف على أهمية دور الطبيعة في الفلسفة عموماً و فلسفته خصوصاً لمعرفة الأسباب التي دفعت هيغل إلى عدّ الطبيعة جزئية، و عبثية لا طائل لها، و هل أخفق هيغل في بحثه عن الطبيعة و دفعه ذلك لتعليق هذه المشكلة أما أن هنالك أسباب أخرى كالسياسة، مثلاً دفعت هيغل لرفض مشكلة الطبيعة بوصفها مشكلة غير جديرة الفلسفة بدراستها خلافاً لما يرى بعض الفلاسفة.

أهمية البحث و أهدافه :

تتجلى أهمية بحثنا لمحاولة تفسير مشكلة الطبيعة و أهميتها بالنسبة إلى نظرية المعرفة في تاريخ المعرفة عموماً و خاصة في فلسفة هيغل، كما تتحدد أهمية بحثنا في تحديد مشكلة الطبيعة بين المنطق و فلسفة هيغل عموماً. كما يتوجه بحثنا إلى مجموعة أهداف لعل أهمها هو محاولة الإجابة على سؤالي في هذا البحث لماذا عدَّ هيغل مشكلة الطبيعة أنها مشكلة جزئية لذلك فهي غير جديرة بأن تكون مبحثاً فلسفياً، كما يبدو لدينا هدف مهم أيضاً، هو الوقوف على المفاهيم الأساسية في فلسفة هيغل بالمقارنة مع مشكلة الطبيعة ، و أين تكمتن أصالة هذا الفيلسوف؟

منهجية البحث :

سنحاول في هذا البحث اعتماد المنهج العقلي، والنقدي التاريخي، لأنه كما نعلم تتحدد أهمية ومكانة فلسفة هيغل، عند العديد من الباحثين و المفكرين أنها فلسفة في تفسير وفهم التاريخ.

معنى الطبيعة:

تعد فلسفة الطبيعة لدى هيغل إحدى الحلقات الثلاث التي تشكل الميادين المعرفية المترابطة في فلسفته ألا وهي المنطق وفلسفة الطبيعة و فلسفة الروح ليقدم نسقه الفلسفي بشكل واضح مميز إذ إن هذه الحلقات الثلاث وبمختلف مستوياتها مشتركة بموضوع واحد و هو الفكرة الشاملة – العقل – الفكرة المطلقة – الروح المطلق فإن "ما يعنيه هيغل بالروح المطلق فهي الروح باعتبارها ماهية للكل إنها سلطان في سلطنته و هي التي بأوامرها تعمل الطبيعة برمتها. إنها الروح المطلق قانوناً للكون بل هي الكل في حد ذاته و هذا ما جعل هيغل يدعو الروح المطلق بالله أو الماهية لأنها أرقى درجة في الوجود"[1]. و المنطق لدى هيغل هو التعبير النهائي عن الفكرة الشاملة في الآخر بينما تعبّر فلسفة الروح عن الفكرة وقد عادت لنفسها من ذلك الآخر و من خلال ذلك نرى بأن "هذه الأقسام الثلاثة لا تدرس إلا موضوعاً واحداً هو الفكرة الشاملة في مراحلها المختلفة أو العقل في صوره المتنوعة العقل محضاً في المنطق، والعقل في حالة تخارج

[1] –الشين، يوسف حامد: مبادئ فلسفة هيغل، جامعة خان يونس، بنغازي، ط 1، 1994، ص171.

في فلسفة الطبيعة، و العقل حين يعود إلى نفسه في فلسفة الروح" [1]. فالطبيعة بالنسبة لهيغل هي الفكرة الشاملة و قد حلّت في الآخر أي أنها قد خرجت من ذاتها لتتجسد في الآخر أي في الواقع أو الوجود أو في الطبيعة إلا أن هذا التخارج* للفكرة في الآخر ليس سوى مرحلة من مراحل تطورها ومن ثم تهتدي إلى ذاتها في فلسفة الروح " ومن هنا كان المكان هو الحد الأدنى للطبيعة، أما حدها الأقصى أو نهايتها، فهو انتقالها إلى عالم الروح، والروح هي العقل، أو هي الفكرة قد عادت إلى نفسها ، لكن مراحل الطبيعة التصاعدية تؤلف عودة الفكرة التدريجي إلى ذاتها، واكتمال هذه العملية إنما يكون في الروح" [2]. يظهر لنا هنا التقدم الجدلي للفكرة من خلال سلبها ذاتها أثناء تخارجها بالطبيعة فالسلب هو صيرورة الطبيعة التي تبدو ارتقاء الروح لأنها تعبر عن تجلي الفكرة من خلال القوانين التي تسيّر الطبيعة .[3] لذا فينبغي علينا النظر إلى " الطبيعة على أنها سستام من المراتب و كل مرتبة تخرج من الأخرى بالضرورة غير أن ديالكتيك الأفهوم الذي يوّجه هذا التطور يبقى في جوانية الفكرة الشاملة التي تكمن في كنه الطبيعة" [4]. و بالتالي فإن التناقض الحاصل بالفكرة الشاملة مع نفسها كطبيعة وتجسد خارجي إنما هو " التناقض بين ضرورة مخلوقاتها و الضرورة المنتجة من قبل المفهوم و تعيينهن الطبيعيي في الجملة العضوية، من جهة، ومن جهة أخرى صدفتهن اللامبالالية ولا نظاميتهن غير القابلة للتعيين " [5]. وبماأنه قد تبيّنت الفكرة بشكلها الآخر أي ظهرت بوصفها طبيعية أي أنها ظهرت خارجية لذاتها " فالطبيعة خارجية ليست فقط بالنسبة إلى هذه الفكرة و بالنسبة إلى وجودها الذاتي،والروح الخارجية تؤلف التعيين الذي هي فيه كطبيعة في هذه الخارجية. التعيينات المفهومية لها مظهر بقاء لا مبالٍ والعزلة المتبادلة، المفهوم إذا كان داخلي. لذا الطبيعة لا تبين في وجودها أية حرية بل تبين ضرورة وصدفة " [6]. فالطبيعة في صيرورتها* وتطورها الدائم وحركتها تشير إلى أنها " مادة لا متناهية الحركة،لا تختلف في شيء عن الصيرورة إنها الطبيعة في تطورها هنا حيث كل شيء في حركة دائمة وفقا لقانون ثابت وهو وحده الوحدة واللاوحدة [7].

وبما أن الطبيعة تشكل نظام من المراتب تخرج كل مرتبة من الأخرى فإن البداية تكون من " أكثر الأشياء خلوا من العقل أو من أكثر الأشياء لامعقولية و هو المكان حيث نجد الفكرة، أو العقل. مفقودة كلها تقريباً لكن العقل يبدأ في الظهور تدريجياً في المراحل التالية في الطبيعة، حتى تصل إلى المرحلة الأخيرة ، وهي الكائن الحي الذي تبلغ فيه الطبيعة مرحلة الوعي وتستعد للانتقال إلى الروح ، روح الإنسان العاقل " [8].ويتضح هنا بأن ما تقدمه فلسفة الطبيعة من خلال التراتبية في ظهور الموجودات إنما هو " نظرية التطور، أو السير التدريجي من نلاحظ أنه لا يوجد أي عنصر زمني في هذا التطور فكل مرحلة من مراحل الطبيعة تعقب الأخرى في نظام منطقي لا زمني " [9]. ويبدو أن ما كان

---

[1] –إمام، عبد الفتاح، إمام: المنهج الجدلي عند هيغل، دار التنوير، بيروت، ط 3، 2007، ص15–16.

[2] –ستيس، ولتر: فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة، المجلد الأول، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1982، ص314.

[3] –سرو، رينيه: هيغل والهيغلية، ت أدونيس العكرة ،دار الطليعة ، بيروت ، 1993، ط1، ص32.

[4] – المرجع السابق، ص32.

***التخارج :علاقة منطقية بين كليين ليس بينهما عامل مشترك، أو بين صفتين لا يمكن حملهما على موضوع واحد. و التخارج مرادف للستبعاد و مقابل للتداخل. انظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1، 1971، 260.**

[5] –هيغل : مختارات،ت إلياس مرقص ،المكتبة الفلسطينية ، د–ن ، 1989 ، ط2 ، ص42.

[6] –المصدر السابق ، ص40.

[7] –الشين ، يوسف حامد : مبادئ الفلسفة هيجل ، جامعة قان يونس ، بنغازي ، ط 1 ،1994 ، ص196.

[8] –ستيس، ولتر:فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة، المجلد الأول ،ت إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1982 ص315.

[9] –المرجع السابق ، ص316.

يهدف إليه هيغل هو تقديم تفسير لصور أو لحوادث الطبيعة من خلال استنباطها في تسلسل منطقي " فالقيمة العظيمة للتطور الهيجلي تكمن في أنه قدم لنا مفتاحاً يجعلنا نبرر تبريراً عقلياً الاعتقاد بأن بعض صور الطبيعة أعلى من بعض . فنحن نعتقد أن الحصان هو وجود أعلى من الدودة وأن الإنسان أعلى من الحصان " [1]. وانطلاقاً من هذا الاعتقاد حريٌ بنا أن نقدم الإنسان على أنه أعلى الموجودات ذلك لأن الإنسان يتميز عن موجودات الطبيعة بالفكر ولهذا كان من الضروري إذا كنا سنستخدم كلمة الفكر على الإطلاق أن نتحدث عن الطبيعة على أنها نسق من الفكر اللاواعي "[2].

الطبيعة والمقولات :

يذهب هيغل إلى استخدام المنهج الاستنباطي ليبرهن على أن المراحل السابقة أقل مرتبة من المراحل اللاحقة في فلسفة الطبيعة ، كما حدث في المنطق ، فالمراحل المتأخرة تعرضت بشكل فعلي ما كان ضمنياً مسبقاً فهي تأتي متضمنة لما تحتويه المراحل السابقة أي أنها تقدم بشكل صريح وعلني ما كانت المراحل السابقة تحتويه بشكل ضمني لأن المنطق هو " سلسلة من المقولات ذات القيمة المتزايدة. وتعطينا فلسفة الطبيعة سلسلة من المقولات ذات القيمة المتزايدة، وكما أن المقولات اللاحقة في المنطق تحتفظ في جوفها بالمقولات الاولى بحيث لا يفقد المنطق شيئا أثناء سيره وإنما يضاف شيء جديد إلى كل مثلث، فتلك هي الحال أيضاً في فلسفة الطبيعة. وهكذا يعطينا مذهب هيغل أساساً حقيقياً لفلسفة التطور دون أن يتأثر ذلك كله بأي حال بالخطأ الذي وقع فيه بصدد موضوع تطور الانواع في الزمان " [3].فمحاولة هيغل دراسة المقولات أو الأفكار الخالصة في المنطق بهدف استنباط الافكار الخالصة بعضها من بعض فإنه في " فلسفة الطبيعة وفلسفة الروح، لم يكن من الممكن دائماً فهمه فهماً واضحاً على هذا النحو فلا شك أننا في انتقالنا من المنطق إلى الطبيعة والروح. فإننا نترك دائرة الأفكار خلفنا بمعنى أو بآخر و نبدأ في دراسة الأشياء العينية : ففلسفة الطبيعة لا تدرس مجرد تجريدات فحسب كالوجود، والسبب أو الجوهر، وإنما تدرس أشياء موجودة بالفعل مثل المادة والنبات والحيوان، وفلسفة الروح تدرس كذلك أشياء فعلية موجودة في العالم ، عقول الناس الموجودة بالفعل، والمؤسسات البشرية ومنتجات الفن والدين والفلسفة " [4]. وبما أن العقل الخالص هو موضوع المنطق فيعني أنه عقل مجرد ولم يتجسد بشكل فعلي في العالم وعندما يتجسد هذا العقل بشكل فعلي من خلال الطبيعة فهنا يتحول إلى ضده أي إلى لا عقل وهذا اللاعقل هو ما يفصح عن المعنى الحقيقي للطبيعة عند هيغل. و" يمثل الانتقال من المنطق إلى الطبيعة نقطة حرجة في المذهب ، إنها اللنقطة التي ينتقل عندها المذهب من الافكار إلى الأشياء، ولما كان لهذا الانتقال كل مظهر الاستنباط المنطقي. شأنه شأن جميع جوانب الاستنباط داخل المنطق نفسه فقد قيل أحياناً أننا لدينا هنا قفزة مستحيلة من الأفكار إلى الأشياء إذ لا يمكن أن نستنبط شيئاً صلباً جامداً كالمنضدة أو الكرسي ، مثلاً من

---

[1] –المرجع السابق ، ص316.

*** الصيرورة: هي الوسيلة التي بها يتكّون وجودنا و يتحقق في الصيرورة يعاني الإنسان نتائج أفعاله و العالم و كل شيء يموت باستمرار و يحيا في كل آن. انظرعبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط 2 ،1995،ص478.**

[2] –هيغل : موسوعة العلوم الفلسفية ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، د. ت ، ص 98.

[3] – ستين ، ولتر : فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، 1982، ص317.

[4] –المرجع السابق، ص301.

نسق الافكار المجردة فانه اشبه بافتراضنا اننا بالفكر وحده نستطيع ان نخلق من عدم هذه الأشياء الصلبة الجامدة " [1].

من الملاحظ أن هذا النص يحاول إزالة الالتباس في منهج هيغل لمشكلة الطبيعة و معناها فهو يحدد استنباط فكرة الطبيعة وليس الطبيعة بحد ذاتها وأكد على ذلك ستيس فهو يقول " إذا كان يبدو أن هيغل يستنبط الطبيعة من الفكرة فإن ما يستنبطه بالفعل ليس هو الطبيعة ذاتها بالمعنى الذي افترضه المفترضون و إنما ما يقوم به فعلاً هو استنباط فكرة الحيوان من فكرة النبات.

وإذا كان يبدو أنه في فلسفة الروح يستنبط المجتمع المدني من الأسرة والدولة من المجتمع المدني فإن ما يقوم به في الواقع هو استنباط أفكار هذه الموضوعات . فهو يدرس الأفكار وحدها في أي جانب من جوانب فلسفته ولم يحاول قط في أي مكان أن يفعل شيئاً سوى استنباط فكرة من فكرة أخرى " [2]. يبدو أن هيغل يدرس هنا الكليات وليس الأشياء الجزئية ففي دراسة النبات والحيوان والطبيعة والاسرة إنما يدرس الأفكار فيها أي فكرة الحيوان أو فكرة النبات أو فكرة الطبيعة أو فكرة الأسرة .

الطبيعة و الكلي و الجزئي :

يدرس هيغل في مكان آخر الأشياء الجزئية لمحاولة الأشياء الجزئية فيها إنما يستنبط الأفكار من الفكرة الشاملة " فالمنهج الجدلي يطبق هنا كما يطبق في أي مكان آخر. و استنباط المجتمع المدني من الأسرة يعني إظهار أن فكرة الأسرة تحوي في جوفها بالقوة فكرة المجتمع المدني وتتضمن في جوفها فكرة العدم . ويخبرنا هيغل مراراً بصراحة أن فلسفة الطبيعة والروح تستنبط الكليات وحدها، فهي لا تستنبط هذا العلم الجزئي أو تلك الحبة الجزئية من حبات الرمال . والكليات عبارة عن تصورات أو أفكار و واضح بالتأكيد أن استنباط النبات أو الحيوان أو الأسرة أو الدولة .. الخ استنباط شيء آخر سوى التصورات والأفكار ما دامت هذه الحدود لا تنطبق على شيء واحد بعينه وإنما على فئات الأشياء كلها . فنحن هنا، كما كنا في المنطق معنيون بدراسة التصورات وحدها، وباستنباط التصورات من بعضها وليست ثمة في هذه العملية شيء مستحيل أو غير مشروع " [3]. و في سياق معالجته مشكلة الانتقال من دائرة المنطق والمفاهيم والمجردات إلى دائرة الطبيعة والأشياء الموجودة فعلياً فالانتقال هنا إنما هو انتقال من فكرة لفكرة شأنه شأن أي استنباط آخر أي أن المقصود استنباط الطبيعة من الفكرة هو استنباط فكرة الطبيعة كما أيضاً بفلسفة الروح تدرس الأفكار فقط لا الأشياء الجزئية الجامدة " [4]. وفي الحقيقة عندما نتحدث عن النسق الفلسفي الهيغلي فإننا يجب أن نحرص على أن هيغل قد قدم نسقه بطريقة متكاملة ومتصلة بين دوائره الثلاث فلا يمكن الحديث عن اي دائرة دون الحديث عن كل الدوائر في نسقه .

" فالكلية مبدأ أساسي من مبادئ الفلسفة الهيغلية ، وإذا كان علم المنطق هو علم الكليات الخالصة ، فإن فلسفة الطبيعة بمعنى ما استمرار للمنطق وتكمله له مثلها مثل فلسفة الروح لأنه إذا كان المنطق يعكس الحياة الباطنية للعقل فإن فلسفة الروح تعكس في مراحلها التحققات المختلفة للعقل في المؤسسات الاجتماعية مثل نتاجات الفن والدين والفلسفة " [5]. ومن خلال ذلك فإنه لا يوجد انقطاع للصلة بين المنطق وفلسفة الطبيعة ذلك لأن المنطق وفلسفة الطبيعة

---

[1] – المرجع السابق، ص301.

[2] – ستيس ولتر : فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، في إمام عبد الفتاح ، دار التنوير، بيروت ، ط 2 ، 1982 م، ص302.

[3] –المرجع السابق ، ص302.

[4] – المرجع السابق،ص302.

[5] – محمد غانم ، رمضان بسطاويس : فسفة هيغل الجمالية ، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر ، بيروت ، 1991 ، ط1 ، ص43.

يشكلان جزئيين أساسيين من النسق الفلسفي الهيغلي وإنما يكمن الفرق بينهما في أن:" المنطق يدرس المقولات و هي لون خاص من ألوان الكليات تتسم بأنها تنطبق على كل شيء، فهي شاملة في مجال انطباقها . أما فلسفة الطبيعة فهي تدرس كليات من نوع آخر، كليات ليست مقولات ولكنها كليات تنطبق على بعض الأشياء لا على الأشياء كلها . فكل شيء في الكون له وجود وكيفيات، سبب ونتيجة الخ و الوجود والكيف والسبب والنتيجة هي بالتالي مقولات ، وهي لذلك تقع في دائرة المنطق . لكننا نجد في كليات الطبيعة أن بعض الأشياء فقط ، نبات وبعضها حيوان ، وبعضها الآخر مادة غير عضوية . ومن هنا كان " النبات " و " الحيوان " و " المادة " غير العضوية كليات من نوع مختلف تماماً عن المقولات وهي لذلك تقع في دائرة خارج دائرة المنطق " [1]. ومعنى ذلك أن الكليات في المنطق تختلف عن الكليات في الطبيعة . فالمقولات في المنطق هي" كليات خالصة غير حسية في حين أن كليات فلسفة الطبيعة كليات حسية، وعامل الحسي هنا يعني في بساطة أن ما هو حسي ليس له صفة الكلية فحسب وإنما له كذلك صفة الجزئية . إن هذا في مقابل ذلك ، ومن ثم فالكلي الحسي هو نفسه الكلي الذي ينطبق على هذه ولا ينطبق على تلك . أعني على بعض الأشياء، لحظة جزئية، لا على كل الأشياء ومن هنا فإننا نستطيع أن نصف الانتقال من المنطق إلى الطبيعة على النحو التالي :

يقدم لنا المنطق العلة الأولى للعالم مؤلفة من كليات خالصة، ونحن الآن نصل إلى المرحلة التي تكتمل فيها فكرتنا عن العلة الأولى للعالم . ونحن نسير إلى نتيجتها المنطقية أعني إلى العالم نفسه فالانتقال الذي تم بالفعل إنما هو انتقال من الدائرة العامة للكليات الخالصة إلى الدائرة العامة للكليات الحسية " [2]. إلا أن هذا الاستنباط والتخارج للطبيعة عند هيغل ليظهرها بأنها النقيض في مثل الفكرة المنطقية والطبيعة والروح و هذا ما أكد عليه ستيس بقوله: " الطبيعة هي النقيض في المثلث الذي يتألف من الفكرة المنطقية الطبيعة ، والروح ومن ثم فالطبيعة هي ضد الفكرة إنها الفكرة . وقد خرجت من ذاتها إلى الآخر ، أو حين تكون في غربة ذاتية .

ولما كانت الطبيعة هي إذن اللاعقل واللامعقول فالطبيعة هي أيضاً لحظة الجزئية التي سمحت لها الفكرة أن تخرج من ذاتها . و وفقاً للمبادئ العامة للجدل فإن الفكرة هي الكلي والطبيعة هي الجزئي والروح هي الشخصي أو الفردية العينية " [3].

الطبيعة و الفكرة الشاملة :

الفكرة الشاملة كما في منهج هيغل تمثل انتقال دائرة المنطق والمقولات والأفكار الخالصة إلى دائرتين الطبيعة والروح إنما تسير إلى تضاد ذاتها الذي هو الجزئية مشكلاً حالة السلب والتعارض لنفسها والذي يشكل ذاتها أيضاً . فهذا الاتحاد بينها و بين ضدها يشكل سلباً للسلب لتعود الفكرة إلى نفسها مرة أخرى ،مشكِلَةً بهذه العودة وحدة الضدين أي الكلي والجزئي .[4] فالفكرة الشاملة عند هيغل هي روح هذا الكون متجسدة فيه فهي الجوهر القابع داخل هذا الكون والذي يحركه وهي الكلي فيه .

---

[1] – ستيس ولتر : فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، في إمام عبد الفتاح ، دار التنوير، بيروت ، ط 2 ، 1982 م، ص305

[2] – المرجع السابق ، ص305–306.

[3] – ستيس، ولتر : فسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير، بيروت ، 1982م، ص304.

[4] –المرجع السابق ، ص233.

وقد قدّم هيغل مثالاً يوضح فيه ذلك عندما قال بأنه " عندما نتحدث عن حيوان معين فإننا نقول عنه إنه حيوان جزئي لأن الحيوان بما هو حيوان لا يمكن أن يرى فلا نستطيع أن نشير إلا إلى الحيوان الجزئي المعين . فالحيوان بما هو حيوان لا يوجد وجوداً فعلياً ، حسياً ، وإنما هو الطبيعة الكلية للحيوانات الجزئية فحسب. في حين أن كل حيوان جزئي يوجد وجوداً فعلياً وهو شيء أكثر تعيناً وتحديداً وتخصيصاً. [1] فتضمن الجزئي بالكلي إنما هو حالة اتحاد الكلي مع الجزئي و بالتالي " فهي على هذا النمو هوية عينية صحيح أنه قد ظهر أن مقولة الهوية في دائرة الماهية تتضمن كذلك مقولةالاختلاف. لكن المهم أن ذلك قد ظهر ولم يكن صريحاً وأما هنا فالكلي ، هو نفسه ضده على نمو صريح ومباشر " [2]. وفي هذا دليل على أن الهوية العينية كما أشار إليها ستيس وما تتضمنه من اتحاد الكلي والجزئي فإن لهذا الاتحاد إشارة لجانبي الهوية " فما دامت الفكرة الشاملة تعارض نفسها بنفسها ، فإنها بذلك تسلب نفسها و تعيّن ذاتهاو هذا العنصر السالب أو التعين هو الاختلاف أو الجزئية إنه الفصل بالمعنى المنطقي للفظ الذي يحدد الجنس ، الكلي ، وهكذا نصل إلى الجزئي. فالفكرة الشاملة هي هوية الضدين الكلي هو جانب الهوية والجزئي هو جانب التعارض " [3]. وبما أن الفكرة الشاملة قد شكلت اتحاد للتعارض القائم بين الكلي والجزئي فإن هذا الاتحاد إنما هو الكلي فحتى " الكليات الحسية الشائعة: كالإنسان والمنضدة والمنزل، تمثل هذه السمة هي أيضاً تعبر عما هو متّحد في هوية واحدة بين الجزئيات . ولكن كلية الفكرة الشاملة تختلف على نحو ما سوف ترى اختلافاً أساسياً عن هذه الكليات المجردة " [4]. إلا أن الاختلاف بين الكليات المجردة والكليات الحسية إنما اختلاف بالتعين لأن الفكر هو المبدأ الأساسي وهو " الجوهر المكّون للأشياء الخارجية فإنه كذلك الجوهر الكلي لما هو روحي. ففي كل إدراك حسي بشري يوجد الفكر ، كما أن الفكر هو أيضاً الكلي الموجود في جميع أنواع التصورات والتذكر و باختصار إننا نجد الفكر في كل نشاط ذهني في الإرادة والرغبة وما شابه ذلك . فجميع هذه الملكات ليست سوى تخصيصات بعد الفكر " [5]. وبذلك لا وجود للفكرة خارج الطبيعة و إنما هي " تتجلى في الطبيعة أقلة من خلال القوانين التي تسيّرها ، غير أنها ليست متحققة في الطبيعة إلا بصورة غير مطابقة " [6].

إلا أن الحد الأدنى للطبيعة هو المكان ذلك لأنه من " أكثر الأشياء خلواً من العقل أو الفكر أو الروح وتكون الطبيعة في مرحلة المكان في أكثر مراحلها معارضة للفكرة . فالمكان هو بصفة عامة ، الضد الأقصى للفكرة لأن الفكر جوانية مطلقة والمكان برانية مطلقة أو تخارج مطلق. فأجزاء الفكر لا توجد بعضها خارج البعض الآخر . في حين أن أجزاء المكان توجد بعضها خارج بعض ، والواقع أننا لا نستطيع أن نتحدث عن أجزاء الفكر إلا تجاوزاً . أما الأشياء في المكان ، والمكان نفسه، فله أجزاؤه وهذا يعني أن التخارج هو السمة الأساسية للمكان وإن أجزاء المكان ليست إلا بسبب أنها خارجية بعضها لبعض ويقع بعضها خارج بعضها الآخر . وهذا التخارج هو الصفة الجوهرية

---

[1] –هيغل :موسوعة العلوم الفلسفية ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، د. ت ، ص 99.

[2] – ستيس ، ولتر : فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير، بيروت ، 1982، ص232.

[3] – المرجع السابق ، ص232.

[4] – ستيس ، ولتر: فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، المجلد الأول ، دار التنوير، بيروت ، 1982، ص232.

[5] – هيغل : موسوعة العلوم الفلسفية ، إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، د. ت، ص 99.

[6] – سرو ، رينيه : هيغل والهيغلية ، ت أدونيس العكرة ، دار الطليعة ، بيروت ، 1993 ، ط1 ، ص32.

للمكان أو قل إن المكان هو التخارج وماهية الفكر من ناحية أخرى هي الجوانية او التداخل " [1]. أما الحد الأعلى للطبيعة هو إرتقاءها إلى عالم الروح وما يعنيه الروح إنما هو العقل و يبدو قصد هيغل بتجلي الفكرة أو العقل بالعالم والذي يتم إلى حد ما من خلال " الإنسان لأنه هو الوجود العاقل ، وتمثل هذه المرحلة مرحلة عليا في الطبيعة تقترب إلى حد كبير من الغاية ، فهي تصور أبعد للعقل وأعلى من الصور الدنيا " [2]. و بالتالي فإن هذا التراتب التصاعدي للفكرة المطلقة في فلسفة الطبيعة من أدنى مرحلة متمثلة بالمكان إلى المرحلة العليا يشكل عودة الفكر المطلقة إلى ذاتها بعد غربتها الذاتية وانتقالها إلى عالم الروح الذي تم بشكل حالة الاكتمال .

إلا أن هذا التعاقب يتم بنظام منطقي وليس بنظام زمني و هذا ما نجده عند هيغل هو ما أكد عليه ستيس بقوله: " إن العلاقة بين المطلق والعالم هي علاقة منطقية وليست علاقة زمنية. ولقد ذهب فلاسفة اليونان،لاسيما أرسطو إلى القول بهذه الفكرة ، فمبدأ الصورة الأرسطي سابق على العالم و النهاية و الغاية سابقة على البداية، وليست هذه الأسبقية زمنية بل منطقية" [3]. وبدت محاولة هيغل واضحة بجعل كل ما هو موجود بالطبيعة أو بالعالم المادي متخارج أو صادر بطريقة متتالية من الفكرة الشاملة .

إذا أنه لا وجود للروح المطلق بعيداً أو خارج الطبيعة " لأن طابع الإطلاق لهذا الروح لا يختلف عن إطلاق المادة الممتدة وهي خلود الكونية . وبمعنى أدق لا يختلف عن الوجود لأنه من الاستحالة بمكان الوجود لمطلقين " [4]. وحول طبيعة الروح الشاملة أو الفكرة المطلقة يتساءل المفكر يوسف حامد الشين عن مصدرها وماهيتها قائلاً: " لنتساءل معاً الآن من أين جاءت هذه الروح الغريبة المختفية في الطبيعة ؟ إنها على ما يبدو لم تكن غير قوانين الطبيعة التي تتحكم فيها من الداخل والتي لا ترى إلا بواسطة العقل القادر وحده على معرفتها . وهذا ما يدفعنا إلى القول : لقد تحكم هيغل في الطبيعة بمعرفة الروح التي تكمن فيها والتي بدونها لا تكون الطبيعة سوى مادة تتحرك بطريقة عمياء" [5]. ومن خلال دراستنا للطبيعة عند هيغل رأينا من الأهمية تسليط الضوء وبقوة على فلسفة الطبيعة عند هيغل لما تمثله من أهمية ليرى ضمن النسق الفلسفي الهيغلي فما"لم نفهم الوظيفة
التي تؤديها فلسفة الطبيعة والمركز الذي تشغله في المذهب فسوف يظل المنطق ، ومعه فلسفة الروح معلقاً في الهواء" [6].

خاتمة :

في الختام يمكننا القول أن الطبيعة تلعب دوراً مهماً في مذهب هيغل الفلسفي، كما لاحظنا أنها تلعب دوراً رئيساً في بناء و تشكيل المعرفة الإنسانية ، يؤكد هيغل على العلاقة القوية بين الطبيعة من جانب و التي تشكل المفاهيم الأساسية في فلسفة هيغل كالذات و الآخر و الاختلاف و غيرهما فالمشكلات التي تستنتج مشكلة الطبيعة على علاقة ضرورية و ذلك من خلال جدل الطبيعة مع ذاتها التي يفصح عنها الآخر.

---

[1] – ستيس، ولتر: فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، المجلد الأول ، دار التنوير، بيروت ، 1982، ص315.

[2] – المرجع السابق ، ص317.

[3] –ستيس ولتر: فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ،المجلد الأول ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير، بيروت ، 1982، ص306.

[4] – الشين ، يوسف حامد : مبادئ فلسفة هيغل ، جامعة قان يونس ، بنغازي ، ط 1 ، 1994 ، ص208.

[5] – المرجع السابق ، ص 195.

[6] – ستيس ، ولير : فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة ، المجلد الأول ، ت إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، 1982، ص318.

هكذا يوضح لنا هيغل من خلال بحثه في الطبيعة كيف ينتقل الوعي من الجزئي إلى الكلي، وكان ذلك عن طريق نفي الأشياء الجزئية من خلال رفض المكان في حالته الفردية لأنها معناها كما توجد في الكلي، وهكذا تبدو الماهية بوصفها تشظي الكلي في طبيعة الأشياء الجزئية.

المصادر والمراجع :

1_ هيغل : *موسوعة العلوم الفلسفية* ، إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، د. ت.

2_ هيغل : *مختارات، ت إلياس مرقص* ، المكتبة الفلسطينية ، د–ن ، 1989 ، ط2 .

3_ إمام، عبد الفتاح، إمام: *المنهج الجدلي عند هيغل*، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007.

4_ الشين، يوسف حامد: *مبادئ فلسفة هيغل*، جامعة خان يونس، بنغازي، ط1، 1994.

5_ ستيس، ولتر: *فلسفة هيغل – المنطق وفلسفة الطبيعة* ، المجلد الأول، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1982.

6_ ستيس، ولتر: *فلسفة هيغل – فلسفة الروح* ، المجلد الثاني ، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1982.

7_ سرو، رينيه: *هيغل والهيغلية*، ت أدونيس العكرة ،دار الطليعة ، بيروت ،1993، ط.1

8_ محمد غانم ، *رمضان بسطاويس: فسفة هيغل الجمالية* ، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر، بيروت ، 1991 .

_ المعاجم المستخدمة :

1_ الحفني، عبد المنعم : *المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة*، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط2 ،.1995

2_ صليبا، جميل: *المعجم الفلسفي*،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1، 1971.